SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.24 NO. 2 2025
DOI: 10.51984/JOHS.V24I2.4152

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

الكوفةُ: من تَجَمُّعٍ للجُندِ إلى مدينةٍ مُهِمَّةٍ. دِراسةٌ في أحوالِها السياسيةِ والاجتماعيةِ، منذَ تَمصيرِها وحتى انتهاءِ الخِلافةِ الرَّاشِدَةِ (17هـ-41هـ)(648م-661م).

* عليّ بالقاسمِ راشدُ الحرابي

قسمِ التاريخِ، كليةِ الآدابِ، جامعةِ بنغازي، ليبيا.

الملخص

تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ خُطُوَاتِ تَمْصِيرِ الْكُوفَةِ وَأَسْبَابَ اتِّخَاذِ هَذَا الإِجْرَاءِ، وَتُقَدِّمُ تَحْلِيلًا لِتَرْكِيبَتِهَا السُّكَّانِيَّةِ وَالتَّغَيُّرَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْهَا، وَصُولًا إِلَى تَحَوُّلِهَا مِنْ مُجَرَّدِ تَجَمُّعٍ لِلْجُنْدِ إِلَى مَرْكَزٍ سِيَاسِيٍّ بَارِزٍ فِي الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَتُسَلِّطُ الدِّرَاسَةُ الضَّوْءَ عَلَى أَهَمِّ الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ فِيهَا، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى تَجَنُّبِ التَّطَرُّقِ إِلَى الصِّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ الَّتِي شَهِدَتْهَا الْكُوفَةُ. وَالإِطَارُ الزَّمَنِيُّ لِلدِّرَاسَةِ يَمْتَدُّ مُنْذُ تَأْسِيسِهَا عَامَ 17 هِجْرِيًّا وَحَتَّى نِهَايَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَامَ 40 هِجْرِيًّا.

الكلمات المفتاحية:

الأحوالُ الاجتماعيةُ
الأحوالُ السياسيةُ
التَّمصيرُ
سَعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ
الكُوفةُ

Kufa: From a Military Encampment to a Significant City. A Study of Its Political and Social Conditions from Its Founding to the End of the Rashidun Caliphate. (17 AH - 41 AH)(648 -661 CE)

* ALI B R ELHRABI

Department of History, Faculty of Arts, University of Benghazi, Libya.

Keywords:

Social Condition
Political Condition
Urban Planning in Early Islam
Sa'd ibn Abi Waqqas
Kufa

ABSTRACT

This study addresses the steps involved in the establishment of Kufa and the reasons for undertaking this process. It presents an analysis of its demographic composition and the changes that occurred within it, culminating in its transformation from merely a gathering of soldiers into a prominent political center in the Islamic state. The study highlights the most notable governors and judges in Kufa, taking care to avoid delving into the political and sectarian conflicts the city witnessed. The temporal framework of the study spans from its founding in the year 17 AH until the end of the Rashidun Caliphate in the year 40 AH.

المُقدِمة

كانَ لِلفُتُوحاتِ الإسلاميَّةِ في العِراقِ فألُ الخَيرِ على هذا الإقْليمِ، فَقَدْ صاحَبَ نَشْرُ الإسلامِ في هذهِ البِقاعِ نَقْلَةً حَضاريَّةً تَمثَّلَتْ في اخْتِطاطِ المُسْلِمينَ لِمُدُنٍ اسْتُخْدِمَتْ كَمَحَطَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ تَطَلَّبَتْها ضَروراتُ الفَتْحِ، ثُمَّ ما لَبِثُوا أنِ اسْتَوْطَنُوها، وأَصْبَحَ لَها تَأْثيرُها على الواقِعِ السِّياسيِّ والاجْتماعيِّ والحَضاريِّ في الدَّوْلَةِ الإسلاميَّةِ فيما بَعْدُ، ومِنْ هذهِ المُدُنِ مَدينةُ الكُوفَةِ.

تُعدُّ الكوفةُ مدينةً جديرةً بالاهتمامِ والدراسةِ، فقد شهدتْ عبرَ تاريخِها الطويلِ أحداثًا سياسيةً وعسكريةً واجتماعيةً بالغةَ الأهميةِ، رسمتْ صورةً واضحةً عن حقبةٍ مهمةٍ من تاريخِنا الإسلاميِّ.

تَهْدِفُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى تَمْصِيرِ الْكُوفَةِ وَالضَّرُورَاتِ الَّتِي دَفَعَتْ إِلَى ذَلِكَ، مَعَ تَقْدِيمِ شَرْحٍ لِتَرْكِيبَتِهَا السُّكَّانِيَّةِ وَظُرُوفِ تَحَوُّلِهَا مِنْ تَجَمُّعٍ لِلْجُنْدِ إِلَى مَدِينَةٍ ذَاتِ أَهَمِّيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مَكَّنَتْهَا أَنْ تَكُونَ عَاصِمَةً لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى أَبْرَزِ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا مِثْلَ الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ مُبْتَعِدِينَ قَدْرَ الْإِمْكَانِ عَنْ الْخَوْضِ فِي الاضْطِرَابَاتِ وَالْفِتَنِ وَالْأَزَمَاتِ الَّتِي عَصَفَتْ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ وَجَعَلَتْهَا مَسْرَحًا لِصِرَاعَاتٍ اسْتَمَرَّتْ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

لقد شكَّلَتِ الكوفةُ نموذجًا فريدًا في الانتقالِ من مرحلةِ البقاءِ المؤقَّتِ، الذي فرضته دوافعُ الفتحِ الإسلاميِّ، إلى حاضرةٍ سياسيّة لعبَت دورًا بارزًا في المشهدِ السياسيِّ للدولةِ الإسلاميَّةِ.

إنَّ تمصيرَ الكوفةِ وفقَ آليةٍ مبتكَرةٍ، لعبتْ فيها التركيبةُ القبليَّةُ دورًا رئيسيًّا، يُعدُّ في حدِّ ذاته إبداعًا؛ إذ إنَّ العصبيَّةَ القبليَّةَ، التي كانت واقعًا جليًّا في الجزيرةِ العربيَّةِ قبلَ الإسلامِ، تمَّ تهذيبها، بحيثُ أصبحتْ لها أدوارٌ إيجابيَّةٌ في ضبطِ الأمورِ داخلَ هذه المدينةِ، ومن ثَمَّ الشروعُ في استقبالِ مراحلِ الفتحِ

*Corresponding author:
E-mail addresses: ali.alharabi9@gmail.com
Article History : Received 17 June 2025 - Received in revised form 20 July 2025 - Accepted 30 July 2025

الإسلاميّ.

سَتَكُونُ حُدُودُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الزَّمَنِيَّةِ هِيَ الْفَتْرَةَ الْمُمْتَدَّةَ مِنْ تَمْصِيرِ الْمَدِينَةِ فِي عَامِ ١٧ هِجْرِيٍّ حَتَّى نِهَايَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَإِنْ تَطَلَّبَ الْأَمْرُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَنَاوُلَ تَارِيخِ الْكُوفَةِ فِي بداية الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ باعتبارهما فترتان متلازمتان تتوالى فيهما الأحداث التاريخية دون انقطاع.

اعتمدْنا في هذهِ الدراسةِ على المنهجِ التاريخيّ السردي، من خلالِ سردِ الرواياتِ التاريخيَّةِ التي تناولتْ تمصيرَ الكوفةِ وتركيبتَها السُكانيَّةَ، وأحوالَها السياسيَّةَ والقضائيَّةَ، مع الانتقالِ – أحيانًا – إلى التحليلِ كأداة من أدوات المنهجِ التاريخي لسبر غور الرواياتِ التاريخيَّةِ. ذلكَ لأنَّها كانتْ بيئةً مليئةً بالصراعاتِ السياسيَّةِ والمذهبيَّةِ، ممَّا يتطلَّبُ الدقَّةَ في تقديمِ الرواياتِ التاريخيَّةِ عن هذهِ المدينةِ وأحوالِها .

المبحث الأول: تَمْصِير الكُوفة 17هـ

كلمة "تَمْصِير" تَشِيرُ إلى عَمَلِيَّةِ إِنْشَاءِ الْمُدُنِ أَوِ الْأَمْصَارِ فِي الْمَنَاطِقِ الَّتِي فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ أَثْنَاءَ تَوَسُّعِهِمْ. فالأَمْصَارُ هِي تَجَمُّعَاتٌ سَكَنِيَّةٌ تَمَّ بِنَاؤُهَا حَوْلَ الْمَعْسَكَرَاتِ العَسْكَرِيَّةِ، وَذَلِكَ لِتَوْفِيرِ الاستِقْرَارِ وَالتَنْظِيمِ فِي الْمَنَاطِقِ الجَدِيدَةِ. وقد اختلفت التفسيراتُ في معنى التَّمصيرِ أو المِصْرِ؛ فبينما يصفه ابنُ خلدون بالحاضرة، أي المكان الذي يُقيمُ فيه الناسُ إقامةً دائمةً ويتحوَّلُ بفعل التطوُّرِ إلى مدينة[1]، نجدُ في "الصِّحاح" أنّ المِصْرَ يعني "الحدَّ بين الشيئين" و"المِصْران: الكوفةُ والبصرةُ"[2]. أمَّا ابنُ منظور، فيعتبرُ: "المِصْرَ البلدَ"[3] -ويقصدُ هنا الكُوفةَ والبصرةَ-، ويرى أيضًا أنَّ المِصْرَ في كلام العرب هو: "كلُّ كُورةٍ تُقامُ فيها الحدودُ ويُقْسَمُ فيها الفيءُ والصدقات". ويقول أيضا: "وكان عمرُ بنُ الخطابِ، رضي الله عنه، قد مَصَّرَ الأمصارَ، ومنها الكوفةُ والبصرةُ"[4]، كما يُعطي تفسيرًا آخرَ لمعنى المِصْرِ وهو الحَدُّ بين البحرِ والمدينةِ[5]. والواضحُ أنَّ هذا المعنى ينطبقُ على الكوفةِ تحديدًا؛ لأنَّ وصيةَ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ لسعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ حينما استشارَه في بناءِ الكوفةِ طلبَ منه ألَّا يجعلَ بينَه وبينَها البحرَ، ويقصدُ هنا أنْ يكونَ موقعُها إلى الغربِ من نهرِ دجلةَ

. **موقع مدينة الكوفة**

تُجمعُ المصادرُ التاريخيةُ أنَّ مدينةَ الكوفةِ - بوضعِها الذي أُنشئتْ عليه - قدْ ظهرَتْ أثناءَ الفتحِ الإسلاميّ للعراقِ في عهدِ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ، فهي لمْ تكنْ موجودةً قبلَ ذلكَ. وقدْ ذكرَ أبو الفداءِ في كتابِهِ "تقويمُ البلدانِ": "الكوفةُ على ذراعٍ من الفراتِ خارجٍ من جنوبِ الفراتِ وغربِها". وعلى أنَّنا يجبُ ألا نغفلَ أنَّ موقعَ الكوفةِ الحاليّ كانَ على درجةٍ من الأهميةِ قبلَ الإسلامِ، وإنْ لمْ تظهرْ فيه معالمُ البناءِ كما حدثَ بعدَ الإسلامِ. وتكمُنُ هذهِ الأهميةُ في قربِ موقعِها من الحيرةِ، عاصمةِ المناذرةِ، ولذلكَ اختارَها المسلمونَ لبناءِ مدينةٍ أصبحتْ فيما بعدُ منارةً للعلمِ والأدبِ والسياسةِ. وقدْ شهدَ لها التاريخُ بأنَّها مركزٌ حضاريٌّ عظيمٌ، كما كانتْ ساحةً للصراعاتِ السياسيةِ والمذهبيةِ.

إنَّ الرواياتِ التاريخيةَ التي تناولتِ الغايةَ من اختيارِ هذا الموقعِ تحديدًا عديدةٌ. من بينِها أنَّ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ، بعدما انتصرَ في معركةِ القادسيةِ سنةَ 15هـ، نزلَ بالمسلمينَ في الأنبارِ، ولكنَّهم عانوا من انتشارِ البَقِّ هناك، فخرجَ يبحثُ عن موضعٍ أفضلَ حتى وصلَ إلى الكوفةِ[6]. وكانَ الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه قدْ كتبَ إلى سعدٍ يقول: "إنَّ العربَ لا يصلحُها من البلدانِ إلا ما أصلحَ الشاةَ والبعيرَ، فلا تجعلْ بيني وبينهم بحرًا، وعليكَ بالريفِ"[7].

وقد جاءَ ذلكَ بعدَ أنْ كتبَ حذيفةُ بنُ اليمانِ إلى الخليفةِ عُمرَ يخبرُه أنَّ العربَ قدْ ضعفتْ بطونُهم، وجفَّتْ أعضادُهم، وتغيَّرتْ ألوانُهم. فسألَ الخليفةُ عُمرُ سعدًا عن سببِ ذلكَ، فأجابهُ سعدٌ قائلاً: "إنَّ الذي غيَّرهم هو طبيعةُ البلادِ؛ فالبيئةُ لا توافقُ العربَ إلا إذا وافقتْ إبلَهم. فردَّ عُمرُ: ابعثْ سلمانَ الفارسيَّ وحذيفةَ بنَ اليمانِ ليستطلعا مكانًا يناسبُ العربَ، بحيثُ يكونُ بريًا وبحريًا، ولا يحولُ بيني وبينَهم بحرٌ أو جسرٌ". فخرجَ سلمانُ الفارسيُّ إلى الأنبارِ من غربِ الفراتِ، وبحثَ حتى وصلَ إلى الكوفةِ، ولمْ يرضَ بأيِّ مكانٍ غيرَها. أما حذيفةُ، فقدْ توجَّهَ شرقَ الفراتِ حتى وصلَ أيضًا إلى الكوفةِ، ولمْ يجدْ ما يناسبُ العربَ سواها. وفي محرمِ سنةِ 17هـ، ارتحلَ سعدٌ بالمسلمينَ من المدائنِ ونزلَ بالكوفةِ. وكانَ بينَ نزولِ الكوفةِ ووقعةِ القادسيةِ سنةٌ وشهران[8].

على الرغمِ مِنْ أنَّ الأنبار كانت تحظى بموقعٍ استراتيجيٍّ هامٍّ، وكانت مدينة قائمة تَحوي كُل معالم المَدنية؛ إلا أنَّ الفاتحين المُسلِمين كانت همَّتهم موجّهةً نحو استمرار الفتح إلى أقصى نقطةٍ يمكن الوصول إليها في العراق وما بعده. وبالتالي، كانوا يرون أنَّ الارتهان للإقامة في المُدن المُشيَّدة عاملٌ قد يحدُّ من عزيمتهم في مواصلةِ الجهاد، لِذا أنشأوا مُعسكراتٍ مفتوحةً لإقامة الجُند وعوائلهم. ومن هذه المُعسكرات الكُوفة، كما أنَّ رغبتهم في أنْ يصنعوا فضاءً وِفق مِزاجهم كانت أمرًا لا يُمكن إغفالهُ، وذلك بدلاً من الإقامة في مكانٍ ذي مقوماتٍ حضاريةٍ مغايرةٍ عمَّا ألفوه[9].

وقدْ أشارَ المسعوديُّ في كتابهِ "مروجُ الذهبِ ومعادنُ الجوهرِ"، إلى أنَّ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ هو الذي مصَّرَ الكوفةَ سنةَ 15هـ وكانَ ابنُ نفيلةَ الغسانيُّ قدْ دلَّ سعدًا على موضعِها قائلًا: "أدلُّكَ على أرضٍ ارتفعتْ عن البرِّ، وانحدرتْ عن الفلاةِ"، وكانَ ذلكَ الموقعُ هو موضعَ الكوفةِ الحالي[10].

مهما كانت الدوافع وراء اختيار موقع الكوفة، فإنَّ ما يظهرُ لنا من خلالِ هذهِ الرواياتِ هو عمقُ الخبرةِ وبراعةُ التخطيطِ التي تميزَ بها القادةُ المسلمونَ. لقد تجلَّتْ هذهِ الصفاتُ بوضوحٍ في عمليةِ تمصيرِ المدينةِ وتأسيسِها، لتكونَ حجرَ أساسٍ لرؤيةٍ استراتيجيةٍ بعيدةِ المدى .

إنَّ اختيارَ هذا الموقعِ يُبرزُ حِنكةَ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ وعبقريةَ القائدِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، بالإضافةِ إلى رؤيةِ القادةِ الفاتحينَ الذين أدركوا أهميةَ تهيئةِ الظروفِ المثلى للجندِ المسلمينَ في العراق. هذهِ الخطوةُ لم تقتصرْ على تأمينِ استقرارِ القواتِ فحسب، بل كانتْ بمثابةِ نقطةِ انطلاقٍ مدروسةٍ لتوسيعِ رُقعة الفتحِ الإسلاميِ ووصولِ رسالة الإسلام إلى أراضٍ جديدةٍ.

تمَّ تقسيمُ هذا البحثِ إلى مقدّمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وقائمةٍ بالمصادرِ والمراجعِ.، حيث تناولَ المبحثُ الأوَّلُ تمصيرَ مدينةِ الكوفةِ، مُوضِّحًا موقعَها وأسبابَ تسميتِها، إلى جانبِ تخطيطِها ومساحتِها، والمبحثُ الثاني ركَّزَ على التركيبةِ السُكانيَّةِ للكوفةِ، من خلالِ الحديثِ عن القبائلِ التي سكنَتها، وتقسيمِها إلى "أسباعٍ" ثمَّ "أرباعٍ"، مع بيانِ أسبابِ هذا التقسيمِ، وذِكرِ أبرزِ أشرافِ الكوفةِ من الصحابةِ والعلماءِ.، أما في المبحثِ الثالثِ، فقد تمَّ تناولُ الحياةِ السياسيَّةِ والقضائيَّةِ في الكوفةِ، مع تسليطِ الضوءِ على أهمِّ الوُلاةِ والقُضاةِ الذين أداروا شُؤونَها.

أسباب تسمية الكوفة:

لَقَدْ ارْتَبَطَ اسْمُ "الكوفةِ" بِهَذِهِ البُقْعَةِ فِي العِرَاقِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هَذَا الاسْمُ مَأْلُوفًا مِنْ قَبْلُ. وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا العَدِيدُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ أَصْلِ تَسْمِيَةِ الكوفةِ. مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، مَا أَشَارَ إِلَيْهِ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ فِي كِتَابِهِ "مُعْجَمِ البُلْدَانِ"، حَيْثُ ذَكَرَ تَفَاصِيلَ حَوْلَ أَصْلِ الاسْمِ . فقال: "سُمِّيت

الكوفة لاستدارتها، أخذًا من قول العرب: رأيت كُوفانًا وكَوْفانًا (بضم الكاف أو فتحها) للرملة المستديرة"[11]. وقيل أيضًا إنها سُمِّيت الكوفة لأنها قِطعة من البلاد، استنادًا إلى قول العرب: "قد أعطيت فلانًا كيفَه، أي قِطعة"[12]، ويُقال: "كفَتَ، يُكِيفُ، كيفًا" بمعنى قطَعَ. كما يُطلق على كل رمل وحصباء مختلطين اسم "كوفة"[13] ، إذ إنَّ أرضَ الكوفةِ هي خليطٌ من الرملِ الأحمرِ الذي مصدرُه غربُ المدينةِ والحصباءِ التي تشكَّلت بفعلِ الترسباتِ النهريةِ[14] .

ويَذْهَبُ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الكوفةَ تَعْنِي وُجُودَ جَبَلٍ يُحِيطُ بِهَا كَالْكَفَافَةِ عَلَيْهَا[15]. وتُشِيرُ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ إِلَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وقَّاصٍ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ، بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الأَنْبَارِ وَوُصُولِهِمْ إِلَى مَوْقِعِ الكوفةِ الَّذِي اخْتَطَّ فِيهِ الْمَدِينَةَ: "تَكَوَّفُوا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ"، أَيْ اجْتَمِعُوا[16]، وَالتَّكَوُّفُ يَعْنِي التَّجَمُّعَ. كَمَا وَرَدَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ "كُوفَانَ" نِسْبَةً إِلَى جَبَلٍ صَغِيرٍ قَامُوا بِتَسْوِيَتِهِ وَاخْتَطُّوا الْمَدِينَةَ عَلَيْهِ[17].

دو افع بناء المدينة

إنَّ موجةَ الفُتوحاتِ الإسلاميَّةِ التي واكبتْ خِلافةَ عمرَ بنِ الخطَّابِ خارجَ الجزيرةِ العربيَّةِ باتجاهِ الشَّامِ والعِراقِ ومِصرَ، حتَّمتْ على القادةِ المسلمينَ في ذلكَ الوقتِ إقامةَ محطَّاتٍ لها صِبغةٌ عسكريَّةٌ، تحوَّلتْ فيما بعدُ إلى مُدنٍ استوطنتْها القبائلُ العربيَّةُ، وأصبحتْ مراكزَ حضاريَّةً وعمرانيَّةً ذاتَ دورٍ مُؤثِّرٍ في التاريخِ الإسلاميّ.

يُعتبرُ تأسيسُ الكوفةِ إحدى الضَّروراتِ الحربيَّةِ التي افترضتْها طبيعةُ الفتحِ الإسلاميّ لبلادِ فارسَ في عهدِ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ، فقد اندفعَ الجيشُ الإسلاميُّ تحتَ قيادةِ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ بعدَ فتوحِ السَّوادِ إلى بلادِ فارسَ. وكانَ من نتيجةِ هذا أنْ تباعدتْ خُطوطُ المُواصلاتِ بين المدينةِ عاصمةِ الخِلافةِ الإسلاميَّةِ آنذاكَ، وبينَ ميدانِ القتالِ، لذا كانَ من الضروريّ أنْ يتَّخذَ الجيشُ الإسلاميُّ نقطةَ ارتكازٍ أو معسكراً ثانياً قريباً من ساحةِ القتالِ[18] ، فأصدرَ الخليفةُ عمرُ أمراً إلى سعدٍ بأنْ يتَّخذَ للمسلمينَ دارَ هِجرةٍ وقيروانَ. وقد ذكرَ ياقوتُ الحمويُّ موضِّحاً سببَ اختِطاطِ الكوفةِ: "ولكي يتابعَ العربُ فتحهم المُظفَّرَ في بلادِ فارسَ عملوا سنةَ 17 هجري/638م على إنشاءِ معسكرينِ على سِيفِ الصحراءِ لإنزالِ جيوشهم، فكانَ أحدُهما قربَ الحيرةِ وأطلقوا عليهِ الكوفةَ، والآخرُ البصرةَ"[19].

كانت الكوفةُ في بادئِ الأمرِ عبارةً عن خيامٍ لإقامةِ الجندِ، ثمَّ تحوَّلتْ تلكَ الخيامُ إلى بيوتٍ من القَصَبِ. لقدْ فضَّلَ الخليفةُ عمرُ بنُ الخطَّابِ هذا الوضعَ؛ لأنَّهُ يرى أنَّ الإقامةَ في الخيامِ أجدُّ في الحربِ وأهْيَبُ في عَيْنِ العدوّ[20]. وهذا ما يؤكِّدُ الغايةَ العسكريةَ التي اختُطَّتْ من أجلها الكوفةُ؛ فقدْ كانتْ منازلُ أهلِ الكوفةِ تُبنى أَخْصَاصاً من قَصَبٍ، فإذا غَزَوْا اقْتَلعوها وتصدَّقوا بها، فإذا عادوا بنَوْها، فكانوا يغزُونَ ونساؤُهم معهم"[21].

تَخطيطُ المدينةِ ومساحَتُها

عندما استقرَّ الأمرُ لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ في اختيارِ موقعِ الكوفةِ، كان لا بُدَّ من تَخطيطِ المدينةِ، وكما جرتِ العادةُ فقد كان المسجدُ هو الموضعَ الأولَ الذي اختطَّهُ المُسلمونَ، ومنهُ أمرَ سعدٌ غالبَ بنَ مالكٍ، فرمى بسهمٍ قِبَلَ القِبلةِ فعلَّمَ على مَوقعِهِ، ثم رمى بسهمٍ باتجاهِ الشَّمالِ فعلَّمَ على مَوقعِهِ، ثم حدَّدَ دارَ الإمارةِ، والمسجدَ في مقامِ موضعِ الرامي وفيما حولَهُ[22]. ثم إنَّهُ أَسهَمَ لنزارٍ وأهلِ اليمنِ بسهمَيْنِ على أنَّهُ من خَرَجَ سهمُهُ أولاً فلهُ الجانبُ الأيسرُ وهو أفضلُهُما، فخرجَ سهمُ أهلِ اليمنِ، فصارتْ خُطَطُهُمْ في الجانبِ الشرقيّ، وصارتْ خُطَطُ نزارٍ في الجانبِ الغربيّ[23]، وجعلَ الخليفةُ عمرُ بنُ الخطَّابِ أبا الهياجِ بنَ مالكٍ الأسديَّ على تَنزيلِ الكوفةِ الذي قدَّرَ المناهِجَ[24] أربعينَ ذِراعاً، وما بينَ ذلكَ عشرينَ ذراعاً، والأزقَّةَ سبعَ أذرعٍ، والقطائعَ ستينَ ذراعاً[25].

أُعتُبِرَ هذا التَّنظيمُ دليلاً على الحِرصِ الذي كانَ يُوليهِ المسلمونَ لتَخطيطِ المُدنِ وتقسيمِ شوارعِها وأزِقَّتِها، ممَّا يُؤكِّدُ السِّمةَ الحضاريَّةَ لهذِهِ الأمَّةِ. فبالرغمِ من البيئةِ البَدَويَّةِ وحياةِ التَّنقُّلِ التي كانَ عليها العربُ، إلَّا أنَّهم أثبَتوا بالدليلِ القاطعِ أنَّهم قادرونَ على بناءِ مُدنٍ لها كلُّ صفاتِ المدنيَّةِ والحضارةِ، إسوةً بما لدى الرُّومِ والفُرْسِ آنذاكَ، على أنَّهُ يَجِبُ أن نَذكُرَ أنَّ بعضَ الفُرسِ ساهموا في بناءِ بعضِ مرافقِ مدينةِ الكوفةِ فيما بعدُ، كقَصرِ سعدٍ الذي أشرفَ على بناءهِ دِهْقَانٌ من هَمَذانَ يُقالُ لهُ روزبهُ بنُ بَزرجمهر[26].

كما أوردنا فيما سَبَقَ أنَّ بُيوتَ الكوفةِ كانتْ تُبْنَى من القَصَبِ إلى أنْ وقعَ بها حَريقٌ أتى على حوالي ثمانينَ عَريشاً، ولم يَبْقَ منها إلَّا قليلٌ، فبعثَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ نَفَراً إلى الخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ يستأذِنونَهُ في البُنيانِ باللَّبِنِ وحدَّثوهُ بخبرِ الحَريقِ، فقالَ: "افعلوا، ولا يَزيدَنَّ أحدُكم على ثلاثِ أبياتٍ، ولا تُطاولوا في البُنيانِ، والزَموا السُّنَّةَ تلزمْكم الدَّولةَ "[27]، على أنَّ ياقوتَ الحَمويَّ يرى أنَّ بناءَ القَبائلِ باللَّبِنِ كانَ في أيامِ المُغيرةِ بنِ شُعْبةَ، حيثُ كانوا يُبنونَ من غيرِ ارتفاعٍ ولم يكنْ لهُمْ غُرَفٌ، وأوَّلُ المساكنِ التي بُنِيَتْ من الآجُرِّ كانتْ في مَحَلَّةِ كِنْدةَ، وقدْ بناها الخَزْرَجُ الذينَ كانتْ تَربطُهُم بكِندَةَ علاقةُ تحالُفٍ في السَّابقِ[28]، فلمَّا تولَّى زيادُ بنُ أبي سفيانَ إمارةَ الكوفةِ بنَوْا أبوابَ الآجُرّ[29].

يُعَدُّ بناءُ المسجدِ الخُطوةَ الأُولى عندَ المسلمينَ حينَ يشرعونَ في بناءِ المُدُنِ في البِلادِ المفتوحةِ، ولهذا فقد بُنِيَ المسجدُ الجامعُ بالكوفةِ أوَّلًا، وكانتْ إلى جانبِهِ الرَّحبةُ، وهيَ مساحةٌ مُربَّعةُ الشكلِ يجتمعُ فيها الناسُ، وإلى جوارِ المسجدِ بُنِيَت دارُ الإمارة[30]

أمَّا مساحةُ الكوفةِ فإنَّها قُدِّرَتْ بِستَّةَ عشرَ ميلاً تقريباً[31] ، وكانتْ أبعادُها تِسعاً وستينَ درجةً ونصفَ طولاً، وإحدى وثلاثينَ درجةً وثُلثَيْنَ عَرضاً[32]، إلَّا أنَّ هذه المساحةَ لم تَظَلْ ثابتةً، لأنَّ الكوفةَ تَطوَّرتْ تطوُّراً عظيماً في الفَتراتِ المُتعاقِبةِ، الأمرُ الذي جعلَها تصلُ لأنْ تكونَ عاصمةَ الخِلافةِ الإسلاميَّةِ في عهدِ الخليفةِ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنهُ.

المبحثُ الثاني: القبائلُ التي سَكَنَتِ الكوفةَ ومَن حَلَّ بها من الصحَابةِ والتابعينَ

القبائلُ التي استقرَّتْ بالكوفةِ

لَمْ تَكُنِ الكوفةُ موجودةً قبلَ الإسلامِ - كما أشرْنَا سابقًا - ولكنْ كانتْ هناكَ قبائلُ تَسْكُنُ بالقربِ منْ تِلْكَ المنطقةِ، مِثْلَ: تَغْلِبَ، والنَّمِرِ، وإيادَ[33]. فَالتحقَ التَّغْلِبيُّونَ، ومَنْ تَبِعَهُمْ منَ النَّمِريّينَ والإيادِيّينَ، بالقائدِ سعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ في المَدَائِنِ، وشاركوا معهُ في اخْتِطاطِ الكوفةِ[34].

لقد طغَتِ الصِّبغَةُ العَسْكَرِيَّةُ على الكوفةِ في بادِئِ الأمرِ، حيثُ كانَ أوَّلَ مَنْ استوطَنَها الجُنودُ الذينَ شارَكوا في الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ في العراقِ. والواقعُ أنَّ العصبيَّةَ القَبَلِيَّةَ كانتْ ملمحًا واضِحًا في مجتمعِ الكوفةِ – لا سيَّما في بِدايةِ التَّمصيرِ –، وهو ما تجلَّى بوضوحٍ خلالَ مراحلِ تأسيسِها. فبعدَ بناءِ المسجدِ ودارِ الخِلافةِ ودارِ الإمارةِ بجوارِهِما، اتَّخَذَ أهلُ اليمنِ الجانبَ الشرقيَّ، وهو الأفضلُ، بينما اتَّخَذَتْ قبيلةُ نِزارٍ الجانبَ الغربيَّ. وكانَ عددُ أهلِ اليمنِ اثنَيْ عَشَرَ ألفًا، في حينَ بلَغَ عددُ قبيلةِ نِزارٍ ثمانيةَ آلافَ[35]. ثمَّ أمرَ سعدٌ الناسَ أنْ يَختَطُّوا منازِلَهم بمساعدةِ أبي الهياجِ، فاختطَّتْ كلُّ قبيلةٍ معَ رئيسِها، وكانَ دورُ أبي الهياجِ الإشرافَ على ذلك[36]. فشقَّ منَ الوَدْعَةِ منَ الصَّحنِ خمسةَ طُرُقٍ، وفي قبلتِهِ أربعةَ طُرُقٍ، وفي شرقِهِ ثلاثةَ طُرُقٍ، وحدَّدها، وأنزلَ في وَدْعَةِ الصَّحنِ قبائلَ سُلَيْمٍ وثَقيفٍ ممَّا يَلي الصَّحنَ على طريقَيْنِ، وهَمْدانَ على

طريقٍ، وبَجيلةَ على طريقٍ وآخَرَ، وتَيْمَ اللاتِ وتَغْلِبَ على آخَرَ. وأنزلَ في قبلتِهِ الصَّحنِ بني أَسَدٍ على طريقٍ، وبينَ بني أسَدٍ والنَّخَعِ طريقًا، وبينَ النَّخَعِ وكِنْدةَ طريقًا، وبينَ كِنْدةَ وأَزْدٍ طريقًا. وأنزلَ في شرقِ الصَّحنِ الأنصارَ ومُزَيْنَةَ على طريقٍ، وتميمَ ومُحارِبَ على طريقٍ، وأَسَدًا وعامِرًا على طريقٍ. وأنزلَ في غربِ الصَّحنِ بِجالَةَ وبِجْلَةَ على طريقٍ، وجُدَيلةَ وجُديلة واخلاط على طريق، وجهينة واخلاط على طريق ، فكان الصحن على حاله زمن الخليفة عمر لا تطمع فيه القبائل وليس فيه إلا المسجد والقصر والأسواق ولم يكن به بنيان وأعلام[37].

-كما ذكرنا سابقًا- كانت بيوتُ الكوفةِ بسيطةَ التخطيطِ، مبنيَّةً بالقَشِّ والقَصَبِ؛ لأنَّها كانتْ منازلَ مُؤقَّتةً لإقامةِ الجُنْدِ وعوائلِهم[38]. إلَّا أنَّ الحريقَ الذي وقعَ بالكوفةِ أتَى على هذهِ البيوتِ، فاضْطُرَّ المسلمونَ إلى البناءِ بالطُّوبِ واللَّبِن بعدَ مشورةِ الخليفةِ عمرَ، الذي أقرَّهُم على ذلكَ مُفْتَرِضًا أنْ تكونَ البيوتُ من طابقٍ واحدٍ وعاديةٍ ليسَ فيها رَفَاهِيَةٌ.

ومعَ مرورِ الوقتِ اختلطتْ هذهِ التقسيماتُ، فكتبَ سعدٌ إلى الخليفةِ عمرَ في تعديلِها، فكتبَ إليهِ أنْ يُعدِّلَها. فأرسلَ إلى قومٍ منَ النَّسَّابةِ العربِ وعُقَلائِهم، منهم سعيدُ بنُ عمرانَ ومشعلُ بنُ نعيمٍ، فجعلوهُم أسباعًا. فصارَتْ كنانةُ وحُلَفاؤُها منَ الأحابيشِ وغيرِهِم سبعًا، وجديلةُ وهم بنو قيسِ غَيْلانَ سبعًا، وصارتْ قُضاعةُ وبَجِيلةُ وخَثْعَمُ وكِنْدةُ وحَضْرَمَوْتُ والأَزْدُ سبعًا، وصارتْ مُذْحِجُ وحِميرُ وهَمْدانُ وحُلَفاؤُهم سبعًا، وصارتْ تَميمُ وسائرُ الرِّبابِ وهَوازِنُ سبعًا، وصارتْ أسدٌ وغَطَفانُ ومُحارِبُ والنَّمرُ وضَبْعَةُ وتَغْلِبُ سبعًا، وصارتْ إيادٌ وعَكٌّ وعَبدُ القَيْسِ وأهلُ الحِجْرِ والحِمْرَا سبعًا[39].

استمرَّ هذا التَّقسيمُ في خلافةِ عمرَ وعثمانَ وعليٍّ ومعظمِ خلافةِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ في العصرِ الأُمويّ. كان هذا التَّعديلُ عسكريًّا بحتًا؛ فهذه الأسباعُ كانتْ مناطقَ عسكريَّةً وذلكَ وفقًا للقياداتِ العسكريَّةِ وتيسيرًا للتَّعبئةِ العامَّةِ عندَ النَّفيرِ والخروجِ للجهادِ. كما أنَّه كان تعديلًا قبليًّا؛ فالسُّبعُ الأوَّلُ نِزاريٌّ، والثَّاني يمنيٌّ، والثَّالثُ أيضًا يمنيٌّ، والرَّابعُ مُضريٌّ، والخامسُ نِزاريٌّ في معظمِهِ من ربيعةَ، والسَّادسُ عدنانيٌّ في مجموعِهِ.

على أنَّ هذا التقسيمَ تمَّ تغييرهُ عندَ ولايةِ زيادِ بنِ أبي سفيانَ للكوفةِ، والواضحُ أنَّ العاملَ السياسيَّ كانَ حاضرًا بقوةٍ في هذا التقسيمِ الذي أقدمَ عليهِ زيادٌ، لقد كانتْ غايتُهُ ضبطَ أمورِ المدينةِ التي كانتْ دائمًا تُشكِّلُ هاجسًا للأمويينَ في بداية خلافتهم، ومن خلالِ ذلكَ يُمكنُ السيطرةَ على الأوضاعِ فيها.

أشرافُ الكوفةِ منَ الصحابةِ والتابعينَ

حظيتْ مدينةُ الكوفةِ في تاريخِها الطويلِ بمزايا قلَّما تجدُها في الأمصارِ التي استُحدثتْ بعدَ الفتحِ الإسلاميّ، فقدْ نزلَ بالكوفةِ عددٌ منَ الصحابةِ الأولينَ الذينَ أثْرَوا تاريخَ هذهِ المدينةِ بالمواقفِ العظيمةِ، مثلَ ما شهدتْ أيضًا أحداثًا مؤسفةً كانتْ منَ الصفحاتِ القاتمةِ في تاريخِها، ومن أهمِّ الشخصياتِ الإسلاميةِ التي شرُفتْ بها الكوفةُ.

عليّ بنُ أبي طالبٍ حيثُ اتخذَها دارَ الخلافةِ، وقد نزلَ بالرحبةِ التي سُمّيتْ فيما بعدُ برحبةِ عليٍّ، ولم ينزلِ القصرَ الذي كانتْ تنزلُهُ الولاةُ قبلهُ، وتشيرُ بعضُ المصادرِ أنَّ عليّ بنَ أبي طالبٍ قد دُفنَ بها[40].

سعدُ بنُ أبي وقاصٍ يرتبطُ اسمُهُ بالكوفةِ، فهو منْ اختطَّها بعدَ معركةِ القادسيةِ وبنى بها دارًا وتولّى الإمارةَ بها، ثم عُزلَ عنها في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ، ثم عادَ إليها في خلافةِ عثمانَ بنِ عفّانَ[41]، كان معروفًا بحكمتِهِ وشجاعتِهِ، واعتزلَ الفتنةَ بين عليٍّ ومعاويةَ، وتوفيَ في المدينةِ المنورةِ 55هـ.

سعيدُ بنُ زيدٍ وهو أحدُ الصحابةِ الذينَ شهدوا بدرًا ومنَ العشرةِ المبشّرينَ بالجنةِ، نزلَ بالكوفةِ ثم رجعَ إلى المدينةِ وتوفيَ بالعقيقِ وقيلَ إنَّهُ ماتَ بالكوفةِ[42].

ومن كبارِ الصحابةِ الذينَ نزلوا الكوفةَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ وعمارُ بنُ ياسرٍ وهما الذينَ أرسلهما الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ إلى الكوفةِ، فقد ذكرَ ابنُ الفقيهِ أنَّ الخليفةَ عمرَ كتبَ إلى أهلِ الكوفةِ: "إني اختبرتُكم فأحببتُ النزولَ بين أظهرِكم لما أعرفُ من حكمِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، وقد بعثتُ إليكم عمارَ بنَ ياسرٍ أميرًا وعبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ مؤذنًا ووزيرًا وهما من النجباءِ من أهلِ بدرٍ، فخذوا عنهما واقتدوا بهما، وقد آثرتُكم بعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ على نفسي"[43].

كما نزلَ الكوفةَ منَ الصحابةِ خبابُ بنُ الأَرَتِّ، وحذيفةُ بنُ اليمانِ، وأبو قتادةَ، وسلمانُ الفارسيُّ، وأبو موسى الأشعريُّ، والبراءُ بنُ عازبٍ[44] وغيرُهم من أصحابِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، كما نزلها عددٌ من التابعينَ منهم قيسُ بنُ حازمٍ، وسويدُ بنُ غفلةَ[45]، وسعيدُ بنُ نمرانَ[46]، وغيرُهم كثيرٌ. وهؤلاء كانَ لهم دورٌ كبيرٌ في أنْ تتبوَّأَ الكوفةُ المكانةَ الكبيرةَ بينَ الأمصارِ الإسلاميةِ في ذلكَ الوقتِ.

المبحثُ الثالث: الحياةُ السياسيةُ والقضائيةُ في الكوفةِ بعدَ تَمصيرِها

الحياةُ السياسية

عندما اتّسعت الدّولة الإسلاميّة في عهد الخليفةِ عمرَ بن الخطّابِ بعدَ موجاتِ الفتحِ الكبيرةِ التي بدأتْ في أواخرِ خلافةِ أبي بكرٍ الصدّيقِ، لم يجدِ الخليفةُ عُمرُ بُدّاً من ابتكارِ تقسيمٍ إداريٍّ في المناطقِ والأمصارِ والعواصمِ الكبرى في الدولةِ الإسلاميّة، فجعلَ في تلكَ المناطقِ إداراتٍ أو ما يُعرفُ بالولاياتِ، وأقرَّ عليها أُمراءَ أو وُلاةً أو ما يُعرفُ بالعمّالِ، وكانَ الخليفةُ عمرُ يختارُ أولئكَ العمّالَ من العربِ لا تعظيماً لعرقِهم أو جنسِهم، ولكنْ لمقدرتِهم على فهمِ أصولِ الشريعةِ وتعاليمِها[47].

وكانتْ ولايةُ الأعمالِ في بادئِ الأمرِ أشبهَ بالتواجدِ العسكريّ منهُ بالتملّكِ أو السلطةِ الإداريّةِ. وكانَ العمّالُ أو الوُلاةُ عبارةً عن قُوّادِ الجندِ المُقيمينَ بضواحي البلادِ المفتوحةِ، ولمّا كانتِ الكوفةُ محطّةً عسكريّةً يُقيمُ بها الجندُ[48]، فكانَ من الطبيعيّ أنْ يتولّى إمارتَها بعدَ تمصيرِها أحدُ القادةِ العسكريينَ الذينَ نزلوا بها، ومن هنا كانَ سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ فاتحُ القادسيّةِ هو أوّلَ وُلاةِ الكوفةِ.

أَهَمُّ وُلاةِ الْكُوفَةِ

سعدُ بنُ أبي وقاصٍ

هو الذي اختطَّ الكوفةَ عامَ 17 هجريًّا، وولّاهُ عليها الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ بعدَ أنْ أكملَ اختطاطَها وأنزلَ بها القبائلَ العربيّةَ، وابتنى بها دارًا. على أنَّ أهلَ الكوفةِ سعوا بالوقيعةِ بينَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ والخليفةِ عمرَ بنِ الخطابِ، وقالوا إنَّهُ لا يُحسنُ الصلاةَ. فقالَ سعدٌ: "أمّا أنا فكنتُ أُصلّي بهم صلاةَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لا أخرِمُ عنها"[49]، فأرسلَ الخليفةُ عمرُ من يستطلعُ الأمرَ بالكوفةِ، فكانتْ إجابةُ الناسِ خيرًا وثناءً عليهِ، إلّا رجلًا قالَ غيرَ ذلكَ، فدعا عليهِ سعدٌ إنْ كانَ كاذبًا، وفعلاً فقدْ أصابتْهُ دعوةُ سعدٍ ، لّا أنَّ الخليفةَ

عمرَ كانتْ لهُ رؤيةٌ أخرى، فعزلَ سعدًا وولّى عمّارَ بنَ ياسرٍ، غيرَ أنَّ عمّارًا لمْ ينجُ هو الآخرُ منْ شكوى أهلِ الكوفةِ، ووصفوهُ بالضعفِ، فعزلَهُ الخليفةُ وولّى مكانَهُ المغيرةَ بنَ شعبةَ. وبعدَ وفاةِ عمرَ بنِ الخطابِ، أعادَ الخليفةُ عثمانُ بنُ عفّانَ تولية سعدِ بنِ أبي وقاصٍ على الكوفةِ بناءً على وصيّةِ عمرَ للخليفةِ عثمانَ حيثُ قالَ: "إنّي لمْ أعزلهُ عنْ سوءٍ، وقدْ خشيتُ أنْ يلحقَهُ منْ ذلكَ"[50]. إلّا أنَّ خلافًا نشبَ بينَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ حولَ مالٍ استقرضَهُ منْ بيتِ مالِ المسلمينَ، واحتدَّ النزاعُ بينَهما، فكانَ ذلكَ أوّلَ ما نزغَ بهِ الشيطانُ بينَ أهلِ الكوفةِ، وبلغَ الخبرُ الخليفةَ عثمانَ فغضبَ عليهما، وقامَ بعزلِ سعدٍ وأقرَّ عبدَ اللهِ، واستعملَ الوليدَ بنَ عقبةَ بنَ أُبي معيطٍ مكانَ سعدٍ[51]. فعادَ سعدٌ إلى المدينةِ وأقامَ بها فترةً منَ الزمنِ، ثمَّ تقولُ المصادرُ إنَّهُ فقدَ بصرَهُ فماتَ في قصرِهِ بالعقيقِ سنةَ 55 هجريًّا ودُفنَ بالبقيعِ[52].

المُغيرةُ بنُ شُعبةَ

تولّى إمارةَ البصرةِ في عهدِ الخليفةِ عمرَ، ثمَّ عزلهُ عنها وولّاهُ بعدَ ذلكَ الكوفةَ. فلمّا قُتلَ الخليفةُ عمرُ كانَ المُغيرةُ لا يزالُ واليًا على الكوفةِ[53]. وعندما تولّى الخلافةَ عثمانُ بنُ عفّانَ عزلهُ عنِ الكوفةِ وولّى مكانَهُ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ تنفيذًا لوصيّةِ عمرَ بنِ الخطابِ. غيرَ أنّهُ عادَ إلى إمارةِ الكوفةِ في زمنِ الخليفةِ الأُمويّ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ، واستمرَّ واليًا عليها حتى وفاتِهِ في سنةِ 50 هجريًّا. وقد قيلَ في وفاتِهِ إنّهُ توفّي في سنةِ 49 هجريًّا عندما وقعَ الطاعونُ بالكوفةِ، فهربَ المُغيرةُ منَ الطاعونِ، فلمّا ارتفعَ الطاعونُ عنِ المدينةِ، قيلَ لهُ لو رجعتَ إلى الكوفةِ، فرجعَ إليها، لكنَّ حظَّهُ كانَ سيئًا، حيثُ أُصيبَ بالطاعونِ فيها فماتَ[54]وكانَ موتُهُ وهو أميرٌ عليها، فكتبَ معاويةُ إلى زيادِ بنِ أبي سفيانَ الذي كانَ واليًا على البصرةِ بعهدِهِ على الكوفةِ والبصرةِ معًا، وأصبحَ بالتالي زيادٌ أوّلَ منْ جُمعَ لهُ الكوفةُ والبصرةُ معًا[55].

الوليدُ بنُ عُقْبَةَ

كانَ شَخصِيَّةً بارِزَةً في التَّاريخِ الإسلامِيّ، وَقَدْ تَولَّى إمارَةَ الكوفَةِ في عَهدِ الخليفةِ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ بَعدَ عَزْلِ سَعدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ. كانَ الوليدُ أَخًا لِعثمانَ مِن جِهَةِ الأُمِّ[56]، وَقَدْ عُرِفَ بِشَجَاعَتِهِ وكَرَمِهِ، لَكِنَّهُ أَثارَ الجَدَلَ بِسَبَبِ اتِّهامِهِ بِشُرْبِ الخَمرِ، مِمَّا أَدَّى إِلى عَزْلِهِ بَعدَ أَن جُلِدَ الحَدَّ في المدينةِ سَنَةَ 25 هـ[57]. رَغمَ ذَلِكَ، تُشِيرُ بَعضُ المَصادِرِ إِلى أَنَّ فَترَةَ وِلايَتِهِ كانَتْ مَلِيئَةً بِالخَيْرِ لِأَهْلِ الكوفَةِ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الأَثِيرِ أَنَّ الوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ " أَقَامَ وَالِيًا عَلَى الكُوفَةِ خَمْسَ سِنِينَ، وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى أَهْلِهَا ". ويورد الطَّبَرِيُّ أَنَّهُ " أَدْخَلَ عَلَى النَّاسِ خَيْرًا حَتَّى جَعَلَ يُقَسِّمُ لِلْوَلَائِدِ وَالْعَبِيدِ"[58].

بَعدَ مَقتَلِ الخليفةِ عُثمانَ، اعتَزَلَ الوليدُ الحَياةَ السِّياسيَّةَ وَاستَقَرَّ في الرَّقَّةِ، حتى وفاته عَامَ 61 هـ. وقَدْ كَانَ لَهُ دَارٌ كَبِيرَةٌ بِالْكُوفَةِ بِجَانِبِ الْمَسْجِدِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا دَارُ الْقَصَّارِينَ[59].

سعيد بن العاص

بعدَ عَزْلِ الوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، أُسْنِدَتْ إِمَارَةُ الكُوفَةِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ اعْتِرَاضَاتِ أَهْلِهَا المُعْتَادَةِ. خَرَجَ نَفَرٌ مِنْهُمْ إِلَى الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ، وَاشْتَكَى بَعْضُهُمْ مِنْ نَهْجِ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ فِي التَصَرُّفِ بِالأَمْوَالِ، مُطَالِبِينَ بِعَزْلِهِ. وَمَعَ تَرَدُّدِ عُثْمَانَ فِي اتِّخَاذِ قَرَارٍ بِشَأْنِ إِبْقَائِهِ أَوْ عَزْلِهِ، عَادَ أَهْلُ الكُوفَةِ إِلَى دِيَارِهِمْ بَعْدَمَا لَمَسُوا تَرَدُّدَ الخَلِيفَةِ. وَكَانَ سَعِيدٌ أَنْذَاكَ بِالمَدِينَةِ، فَصَعِدَ الأَشْتَرُ، وَهُوَ أَحَدُ النَّاقِمِينَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، المِنْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَامِلَكُمُ الَّذِي أَنْكَرْتُمْ تَعَدِّيَهُ وَسُوءَ سِيرَتِهِ، قَدْ رُدَّ عَلَيْكُمْ، فَبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَهَا"؛ وَيَقْصِدُ هُنَا الكُوفَةَ، فَبَايَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ[60]. وَكَتَبَ الأَشْتَرُ إِلَى عُثْمَانَ: "أَنَّ وَاللهِ مَا مَنَعْنَا عَامِلَكَ الدُّخُولَ لِنُفْسِدَ عَلَيْكَ عَمَلَكَ، وَلَكِنْ لِسُوءِ سِيرَتِهِ فِينَا وَشِدَّةِ عَذَابِهِ". وَهَكَذَا رَضَخَ عُثْمَانُ لِرَغْبَةِ أَهْلِ الكُوفَةِ، فَعَزَلَ سَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَأَقَرَّ عَلَيْهِمْ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ[61].

الكُوفَةُ عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

بَعْدَ مَقْتَلِ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ عَلَى يَدِ الغَوْغَاءِ الَّذِينَ انْتَهَكُوا حُرْمَتَهَا، اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ عَصِيبَةٍ مَرَّتْ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ، بَايَعَ أَهْلُهَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لِيَكُونَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ. إِلَّا أَنَّ الخَلِيفَةَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَاجَهَ ظُرُوفًا صَعْبَةً، تَمَثَّلَتْ فِي ظُهُورِ مَطَالِبَاتٍ بِالقِصَاصِ مِنْ قَتَلَةِ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ[62]. وَكَانَتْ هَذِهِ المَطَالِبَاتُ صَادِرَةً عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ مِثْلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وَكَذَلِكَ وَالِي الشَّامِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَصَاعُدِ الأُمُورِ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ.

خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَمَنْ مَعَهُمْ إِلَى البَصْرَةِ لِلتَّجَمُّعِ هُنَاكَ وَتَشْكِيلِ قُوَّةٍ تُطَالِبُ الخَلِيفَةَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِالقِصَاصِ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ. نَتِيجَةً لِذَلِكَ، اضْطُرَّ الخَلِيفَةُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الكُوفَةِ لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْ خُصُومِهِ فِي البَصْرَةِ وَفِي الشَّامِ. أَدْرَكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ الصِّرَاعَ القَادِمَ سَتَدُورُ رَحَاهُ فِي العِرَاقِ وَالشَّامِ، لِذَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ مَقَرًّا قَرِيبًا مِنْ هَذِهِ السَّاحَةِ. وَكَانَ الخِيَارُ الأَمْثَلُ أَمَامَهُ هُوَ الكُوفَةُ، خُصُوصًا أَنَّهَا أُعِدَّتْ أَصْلًا لِتَكُونَ قَاعِدَةً عَسْكَرِيَّةً قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى مَدِينَةٍ مُتَكَامِلَةٍ. كَمَا أَنَّ سُكَّانَهَا مِنْ أَفْرَادِ القَبَائِلِ الذين كَانُوا مُمَرَّسِينَ فِي الحُرُوبِ.

بعد مَعْرَكَةِ الجَمَلِ اختار الخَلِيفَةِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الكُوفَةِ العاصِمة، وكان ذلك لِدَوَافِعَ عَسْكَرِيَّةٍ وَاسْتِرَاتِيجِيَّةٍ؛ فَالمَدِينَةُ، رَغْمَ كَوْنِهَا مَرْكَزًا رُوحَانِيًّا، كَانَتْ بَعِيدَةً عَنْ مَنَاطِقِ الصِّرَاعِ القَادِمِ[63].

وَصَلَ عَلِيٌّ إِلَى الكُوفَةِ سَنَةَ 36 هـ بَعْدَمَا اسْتَطَاعَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَخْذَ البَيْعَةِ لَهُ مِنْ أَهْلِهَا. أَظْهَرَ أَهْلُ الكُوفَةِ وَلَاءَهُمْ لِعَلِيٍّ مُنْذُ بَدَايَةِ خِلَافَتِهِ، وَشَارَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي مَعْرَكَةِ الجَمَلِ إِلَى جَانِبِهِ. هَذَا الدَّعْمُ الشَّعْبِيُّ جَعَلَهُ يَشْعُرُ أَنَّ الكُوفَةَ سَتَكُونُ أَكْثَرَ اسْتِقْرَارًا سِيَاسِيًّا مِنَ المَدِينَةِ. وَظَلَّ بِهَا حَتَّى تَمَّ اغْتِيَالُهُ عَلَى يَدِ الخَارِجِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمَ فِي رَمَضَانَ عَامَ 40 هـ[64].

لقد رَسَّخَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَكَانَةَ الْكُوفَةِ كَعَاصِمَةٍ لِلْخِلَافَةِ، وَجَعَلَهَا قَاعِدَةً فِكْرِيَّةً وَسِيَاسِيَّةً فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ انْتَقَلَتْ مِنَ الْكُوفَةِ - بَعْدَ اغْتِيَالِ الْخَلِيفَةِ عَلِيٍّ- إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ قِيَامِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ مَكَانَةَ الْكُوفَةِ الْحَضَارِيَّةَ ظَلَّتْ قَائِمَةً.

القَضَاءُ فِي الكُوفَةِ

القَضَاءُ هُوَ الفَصْلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الخُصُومَاتِ حَسْمًا لِلتَّدَاعِي وَقَطْعًا لِلنِّزَاعِ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ المُتَلَقَّاتِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[65]. وَكَانَ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُبَاشِرُونَ القَضَاءَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ القَضَاءَ رُسِمَتْ أُسُسُهُ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا يُوَضِّحُهَا دُسْتُورُ القَضَاءِ الَّذِي صَاغَهُ الخَلِيفَةُ فِي كِتَابِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ[66].

وَقَدْ مَرَّ القَضَاءُ الإِسْلَامِيُّ بِمَرَاحِلَ مُتَعَدِّدَةٍ اكْتَمَلَتْ فِيهَا مَعَالِمُهُ وَقُنِّنَتْ تَفْصِيلَاتُهُ لَاحِقًا، وَخَاصَّةً بَعْدَ اكْتِمَالِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا[67]. وَالكُوفَةُ

كَغَيْرِهَا مِنَ الأَمْصَارِ ازْدَهَرَ بِهَا القَضَاءُ وَعَلَا شَأْنُهُ، وَبَرَزَ فِي الكُوفَةِ عَدَدٌ مِنَ القُضَاةِ، مِنْهُمْ:

شُرَيْحُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، حَيْثُ وَلِيَ القَضَاءَ بِالكُوفَةِ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَبَقِيَ إِلَى أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ[68].

مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ، تَوَلَّى القَضَاءَ بِأَمْرٍ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ لاَ يَأْخُذُ عَلَى القَضَاءِ رِزْقًا، وَكَانَ شُرَيْحُ القَاضِي يَسْتَشِيرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ[69].

أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى، تَوَلَّى القَضَاءَ فِي الكُوفَةِ بَعْدَ شُرَيْحٍ[70].

وَكَانَ هُنَاكَ قُضَاةٌ آخَرُونَ تَوَلَّوْا هَذَا الأَمْرَ بِالكُوفَةِ، كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَفَصْلِ المُنَازَعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ.

الخاتمة

تأَسَّسَتِ الكُوفَةُ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ 17 هـ، كَمَوْقِعٍ عَسْكَرِيٍّ وَاسْتِرَاتِيجِيٍّ، وَلَكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَتْ إِلَى حَاضِرَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ بَارِزَةٍ.

مِنْ خِلَالِ هَذَا البَحْثِ، يَتَّضِحُ أَنَّ الكُوفَةَ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ مَدِينَةٍ حَدِيثَةِ النَّشْأَةِ فِي صَدْرِ الإِسْلَامِ، بَلْ مَثَّلَتْ مَرْكَزًا حَضَارِيًّا وَعَسْكَرِيًّا بَارِزًا سَاهَمَ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي تَثْبِيتِ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، خَاصَّةً خِلَالَ فَتْرَةِ الخِلاَفَةِ الرَّاشِدَةِ.

لَقَدْ تَنَوَّعَتِ التَّرْكِيبَةُ السُّكَّانِيَّةُ لِلْمَدِينَةِ مُنْذُ نَشْأَتِهَا، إِذْ ضَمَّتْ قَبَائِلَ عَرَبِيَّةً مِنْ مُخْتَلِفِ الأَنْحَاءِ مِثْلَ تَمِيمٍ، وَالأَزْدِ، وَقَيْسٍ، وَرَبِيعَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ القَبَائِلِ، إِلَى جَانِبِ غَيْرِ العَرَبِ مِمَّنْ أَسْلَمُوا أَوْ عَاشُوا فِي المَدِينَةِ، مَا أَضْفَى عَلَى الكُوفَةِ طَابِعًا مُتَعَدِّدًا فِي الثَّقَافَاتِ وَالانْتِمَاءَاتِ. وَكَانَ لِهَذَا التَّنَوُّعِ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي حَيَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ. وَلأَهَمِّيَّةِ الكُوفَةِ، فَقَدْ نَزَلَ بِهَا العَدِيدُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، الذِينَ أَضْفَوْا نَوْعًا مِنَ القُدْسِيَّةِ عَلَى المَدِينَةِ.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الإِدَارَةِ وَالسُّلْطَةِ، فَقَدْ تَعَاقَبَ عَلَى وِلاَيَةِ الكُوفَةِ عَدَدٌ مِنَ القَادَةِ البَارِزِينَ فِي عَهْدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الذِي أَسَّسَ المَدِينَةَ، وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَغَيْرُهُمْ. وَكَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ بَصْمَةٌ وَاضِحَةٌ فِي تَنْظِيمِ شُؤُونِ المَدِينَةِ وَإِدَارَةِ شُؤُونِ الجُنْدِ. كَمَا شَهِدَتِ الكُوفَةُ حُضُورًا قَضَائِيًّا قَوِيًّا، وَتَمَيَّزَ شُرَيْحُ القَاضِي بِشَخْصِيَّتِهِ وَعَدْلِهِ، فَكَانَ لَهُ دَوْرٌ مِحْوَرِيٌّ فِي تَرْسِيخِ قَوَاعِدِ القَضَاءِ الإِسْلَامِيِّ فِيهَا.

وَلَكِنَّ الحَدَثَ الأَهَمَّ فِي تَارِيخِ الكُوفَةِ، أَنَّهَا أَصْبَحَتْ عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي خِلاَفَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

النَتَائِجُ:

بَعْدَ اِسْتِعْرَاضِ هَذَا البَحْثِ حَوْلَ تَمْصِيرِ مَدِينَةِ الكُوفَةِ وَتَحَوُّلِهَا مِنْ مَحَطَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ إِلَى مَرْكَزٍ حَضَارِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ مُهِمٍّ فِي الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، يُمْكِنُ الخُرُوجُ بِعِدَّةِ نَتَائِجَ رَئِيسَةٍ تُسْهِمُ فِي تَوْضِيحِ أَهَمِّيَّةِ هَذِهِ المَدِينَةِ وَمَكَانَتِهَا فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ:

-تَمْصِيرُ الكُوفَةِ جَاءَ اِسْتِجَابَةً لِحَاجَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ آنِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّ عَوَامِلَ عَدِيدَةً كَالمَوْقِعِ الجُغْرَافِيِّ، وَالبِيئَةِ المُنَاسِبَةِ، وَالتَّخْطِيطِ العُمْرَانِيِّ المُدْرَسِ، سَاهَمَتْ فِي تَحَوُّلِهَا السَّرِيعِ إِلَى مَدِينَةٍ دَائِمَةٍ، لَعِبَتْ دَوْرًا بَارِزًا فِي مَسِيرَةِ الفَتْحِ الإِسْلَامِيِّ وَفِي الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

-التَّرْكِيبَةُ السُّكَّانِيَّةُ لِلْكُوفَةِ كَانَتْ فَرِيدَةً مِنْ نَوْعِهَا، إِذْ جَمَعَتْ بَيْنَ قَبَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، تَمَّ تَنْظِيمُهَا فِي إِطَارٍ إِدَارِيٍّ وَاضِحٍ (الأَسْبَاعِ ثُمَّ الأَرْبَاعِ)، مِمَّا أَتَاحَ ضَبْطًا اِجْتِمَاعِيًّا وَسِيَاسِيًّا فَعَّالًا، وَشَكَّلَ أَسَاسًا لِبُنْيَةٍ إِدَارِيَّةٍ مُسْتَقِرَّةٍ.

-الشَّخْصِيَّاتُ التِي تَوَلَّتْ إِدَارَةَ شُؤُونِ الكُوفَةِ، سَوَاءٌ مِنَ الوُلاَةِ أَوِ القُضَاةِ، كَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَرْسِيخِ النِّظَامِ وَضَبْطِ الأَوْضَاعِ، كَمَا سَاهَمَتْ فِي بِنَاءِ مُؤَسَّسَاتٍ إِدَارِيَّةٍ وَقَضَائِيَّةٍ ظَلَّتْ مَرْجِعًا فِي الفَتَرَاتِ اللَّاحِقَةِ.

على الرغْمَ من الاِضْطِرَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والمذَهبيةِ التِي مَرَّتْ بِهَا المَدِينَةُ، إِلَّا أَنَّ البَحْثَ رَكَّزَ عَلَى الجَوَانِبِ الإِدَارِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الإِيجَابِيَّةِ، التِي تُظْهِرُ الكُوفَةَ كَنَمُوذَجٍ مُتَقَدِّمٍ فِي إِدَارَةِ المُدُنِ الإِسْلَامِيَّةِ المُبَكِّرَةِ.

وعَلَيْهِ، فَإِنَّ الكُوفَةَ فِي عَهْدِ الخِلاَفَةِ الرَّاشِدَةِ مَثَّلَتْ نَمُوذَجًا مُتَقَدِّمًا لِمَدِينَةٍ نَاشِئَةٍ ذَاتِ تَأْثِيرٍ سِيَاسِيٍّ وَعِلْمِيٍّ، وَمَهَّدًا لِعَدَدٍ مِنَ الحَرَكَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ لاَحِقًا، مِمَّا جَعَلَهَا مِنْ أَبْرَزِ مُدُنِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ المُبْكِرِ.

لَقَدْ نَشَأَتِ الكُوفَةُ بِفِعْلِ الضَّرُورَةِ العَسْكَرِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا تَحَوَّلَتْ إِلَى مَدِينَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ فِي الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمَثَّلَتْ تَجْرِبَةً مُهِمَّةً فِي التَّنْظِيمِ وَالإِدَارَةِ وَالتَّأْثِيرِ السِّيَاسِيِّ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ تَقْدِيمَ المَزِيدِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ المُتَعَمِّقَةِ حَوْلَ نَشَاطِهَا الحَضَارِيِّ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ، الذِي أَصْبَحَ عَلَامَةً فَارِقَةً فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ فِي العُصُورِ التَّالِيَةِ.

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،1999م، مجلد2، ص637.

[2] الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح.تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مجلد 2، ج1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990م ط4 ،ص817

[3] ابن منضور، ابي الحسن عبد الله بن المُكرم: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، ج47، ص4215.

[4] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[5] نفس المصدر، نفس الصفحة,

[6] البكري ، عبد الله بن عبد العزيز : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عارضه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتاب ، ص1141.

[7] ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي أحمد : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1979م ج4 ، ص491 .

[8] ابن الأثير ، أبو الحسن ابن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980م ط3 ، ص269.

[9] جعيط، هشام:الكوفة. نشأة المدينة العربية الإسلامية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،1986م، ص96.

[10] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعاد الجوهر، مطبعة السعادة، 1964م، ج2، ص392.

[11] معجم البلدان، ص490

[45] المصدر نفسه ص188.

[46] المصدر نفسه ص205.

[47] الصالح ، صبحي : النظم الإسلامية ، بيروت ، 1980م، ص310،309.

[48] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص221.

[49] البلاذري : فتوح البلدان ، ص277.

[50] الطبري : الأمم والملوك ص44.

[51] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص42.

[52] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص227.

[53] ابن سعد :الطبقات الكبرى ، ص20.

[54] الطبري : الأمم والملوك ، ص130

[55] نفس المصدر ، ص131.

[56] ابن سعد : الطبقات ، ص34

[57] فروخ ، عمر : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1980م، ج1 ، ص402.

[58] الأمم والملوك ، ج5، ص62.

[59] ابن سعد : المصدر السابق ، ص 147.

[60] المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ص346.

[61] المصدر السابق ، ص347.

[62] عطوان ، حسين : الشورى في العصر الأموي ،بيروت ، دار الجيل ، 1990م ، ص12.

[63] سبتي، منير جهاد : تاريخ مدينة الكوفة وتأسيسها وتطورها الحضاري، خلال القرن الهجري الأول 622م-722م (مقال) مجلة المأمون ، جامعة المأمون ، العراق، العدد34، 2019م، ص64.

[64] اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1964م ، ج2 ، ص202.

[65] الزحيلي ، وهبة : نظام الإسلام ، منشورات جامعة قاريونس ، ط2 ، بنغازي 1978م، 277.

[66] البراوي ، فتحية : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار السعودية ، 1987م، ط4، ص110.

[67] المرجع السابق ، ص111.

[68] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص214.

[69] ابن سعد : الطبقات ، ص82.

[70] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص215.

المَصَادِرُوَالمَرَاجِعُ

- **أولا- المَصَادِرُ**

1- ابن الأثير، أبو الحسن ابن أبي الكرم: الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980م ط3.

2- البراقي ، حسين بن السيد النجفي : تاريخ الكوفة ، حرره وأضاف عليه محمد الصادق بحر العلوم . المطبعة الحيدرية، النجف 1968م.

3- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عارضه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتاب.

4- البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، الدار الكتب العلمية بيروت 1998م.

[12] المصدر نفسه، ص491

[13] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص396.

[14] جعيط: المرجع السابق ،ص98.

[15] البكري: معجم ما استعجم، ص1141.

[16] المصدر نفسه، ص1142.

[17] البراقي ، حسين بن السيد النجفي : تاريخ الكوفة ، حرره وأضاف عليه محمد الصادق بحر العلوم . المطبعة الحيدرية، النجف 1968م، ص88.

[18] خليف ، يوسف : حياة الشعر بالكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكاتب العربي الطباعة والنشر ، القاهرة ، 1986م ، ص 275.

[19] معجم البلدان ص295

[20] حسن ، حسين الحاج : حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992م ، ط1 ، ص416.

[21] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص491.

[22] المصدر نفسه ، نفس الصفحة

[23] البلاذري : فتوح البلدان ص275.

[24] المناهج : الشوارع

[25] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص368

[26] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص116.

[27] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص268.

[28] مانسيون ، لويس : خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمه وعلق عليه ، تقي بن محمد المصبعي ، دار الوراق للنشر ، بغداد 1979م، ص18.

[29] معجم البلدان ، ص491.

[30] الشيباني، محمد الهادي : مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية ، دار طيبة ، بغداد ، 1429هـ، ص248.

[31] حسين الحاج : حضارة العرب في صدر الإسلام، ص416.

[32] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص490.

[33] البراقي : تاريخ الكوفة ن ص103.

[34] الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، مكتبة خياط ، بيروت ، ص189.

[35] البلاذري : فتوح البلدان ص276 .

[36] الهوني ، فرج محمد : النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ، بنغازي ، 1978، ص121.

[37] البراقي : تاريخ الكوفة ، ص116،115.

[38] فيصل ، شكري : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1952م ، ص249.

[39] الطبري : الأمم والملوك ، ص194.

[40] ابن سعد ، محمد بن منيع : الطبقات الكبرى ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2001م ، ج8 ، ط1 ، 135.

[41] الطبري : الأمم والملوك ، ص44.

[42] ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ص136.

[43] مختصر كتاب البلدان ، ص164.

[44] ابن سعد : المصدر السابق ،136-139.

1- البراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار السعودية ، 1987م، ط4.

2- جعيط، هشام: الكوفة. نشأة المدينة العربية الإسلامية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،1986م.

3- حسن ، حسين الحاج : حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992م ، ط1 .

4- الخضري بك، محمد : إتمام الوفاء في سيرة الحنفاء ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة 1960م، ط7.

5- خليف ، يوسف : حياة الشعر بالكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكاتب العربي الطباعة والنشر ، القاهرة ، 1986م .

6- الزحيلي ، وهبة : نظام الإسلام ، منشورات جامعة قاريونس ، ط2 ، بنغازي 1978م.

7- الصالح، صبحي: النظم الإسلامية، بيروت، 1980م.

8- عطوان، حسين: الشورى في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، 1990م.

9- فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج1 .

10- فيصل، شكري: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، القاهرة ، 1952م.

11- الهوني، فرج محمد: النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، بنغازي، 1978م.

5- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "، دار الكتاب المصري، القاهرة ،1999م، مجلد2.

6- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مجلد 2، ج1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1990م ط4 .

7- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، مكتبة خياط ، بيروت،

8- ابن سعد ، محمد بن منيع : الطبقات الكبرى ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2001م ، ط1، ج8 .

9- ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد ابن إبراهيم الهمذاني مختصر كتاب البلدان ، ليدن 1885م.

10- ابن منظور، ابي الحسن عبد الله بن المُكرم: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

11- مانسيون ، لويس : خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمه وعلق عليه ، تقي بن محمد المصبعي ، دار الوراق للنشر ، بغداد 1979م.

12- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعاد الجوهر، مطبعة السعادة، 1964م، ج2.

13- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي أحمد : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1979م ج4.

14- اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1964م ، ج2.

- **ثانيا -المَرَاجِعُ**